

## مديرية أسوان

والحد الفاصل بين مصر والسودان

بقلم رشوان أحمد صادق

B. A في المنرافيا

أتحدث اليوم عن علاقة مصر بالأقاليم الجنوبية واهتمام المصريين بالحدود المصرية الجنوبية منذ بدء التاريخ الى اليوم فأقول :

أول من اهتم بالجهات التي تتاخم حدود مصر الجنوبية هو الملك بيبي الأول ثاني ملوك الأسرة السادسة فأرسل القائد أونانا (Una) الى كروسكو ليجمع بعض أنواع الأخشاب فساعدته قبائل تلك الجهات على أداء مهمته واعترفوا بسيطرة الملك بيبي عليهم . ثم أرسل الملك متوسوفيس (وهو الملك الثاني عشر من ملوك الأسرة السادسة) القائد هرخف لنزول بلاد بنت فعاد يحمل البخور والآبنوس والعاج والجلود سماها على ثلثائة حمار وحمل معه قزماً من اللدئس أتى به من (بر الأطلال) . فلما وصل مصر كان الملك متوسوفيس قد مات وخلفه أخوه الملك بيبي الثاني فسر بنجر القزم فكُتب إلى هرخف بأمره باحضاره إلى منف ، وهذا نص الكتاب : « وأحب ملك في السفينة بعض الخفراء لحراسته كي لا يقع في الماء أو يغفل في الليل ، لأنى أسر برؤية القزم أكثر من جميع ما أحضرت من بلاد بنت » ، خفر هرخف هذا الخطاب مع خبر غزواته على واجهة قبره في جزيرة الفنتين

وفي عهد الأسرة الثانية عشرة أرسل (أوسرتسن) الأول ثاني ملوك هذه الأسرة القائد هونو Huno إلى بلاد بنت بطريق قفط والقصير لجباية الجزية من أمراء تلك البلاد ، فأدى مهمته ثم عاد . وقد جرد هذا الملك حملة بطريق النيل قامت حدود مصر الجنوبية حتى الشلال الثاني ، وقد عثروا على حجر في هيكل جهة حلغا (نقل الآن إلى فلورنسا) وعليه صورة هذا الملك وبجانبه المشايخ الثمانية رؤساء القبائل التي تغلب عليها ؛ وفي عهد (أوسرتسن) الثالث خاس ملوك هذه الأسرة امتدت حدود

مصر إلى شلال سمته جنوباً ، وتوجد آثار هيكل من بقايا أعما ذلك العصر ، كما وجد حجران جملا الحد الجنوبي للبلاد المصر مكتوبا على أحدهما ما معناه : « هذا حد مصر الجنوبي الذي » في السنة الثامنة من حكم الملك أوسرتسن الثالث الخالد الذكر فلا يجوز لأحد من السود أن يتعداه إلا في سفن تحمل البنا والماعز والحجر » ، ووجد على الحجر الثاني ما معناه : إن الملائكة شيد هذا الحجر في السنة السادسة عشرة من حكمه وجملة حد فاصلا بين مصر وانيوبيا ، وله تمثل في تلك الجهة ، وتوجد قلعة من آثاره في معتوق . وفي جزيرة ارقو توجد تماثيل وأطلال من آثار الأسرة الثالثة عشرة

وفي عهد الأسرة الخامسة عشرة التي أسسها الهالقة كان مصر في حالة اضطراب ، وهاجر كثير من المصريين إلى اتيو وكونوا معاقل أهمها معقل ارقو ، وحملوا معهم كثيرا من طر الصناعة والفنون المصرية وأصبحوا دولة منظمة في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، ولم يتم الملك لأحمس الأول أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة إلا بمساعدة ملك اتيوبيا الذي زوجه من ابنته وساء ، على طرد الهكسوس من مصر ؛ ويظهر أن عاصمة بلاد الأتيوبيين هي مدينة نبتة عند جبل البرقل بالقرب من مرودي ويعبره بالهيروغليفية باسم الجبل المقدس ، ودامت العلاقات الحسنة بين مصر واتيوبيا إلى عهد تحتمس الأول ثالث ملوك الأسرة الثامنة عشرة إذ غزا الأتيوبيين وانتصر عليهم

وفي عهد الأسرة التاسعة عشرة غزا رمسيس الثاني بلاد اتيوبيا وأقام هيكل في كلايشه تذكارا لانتصاراته ويعرف الآن عند سكان كلايشه باسم بيت الولي . ورسم على الهيكل صور رمسيس الثاني وهو يحارب في عربة ، وعدة صور يتصح منهاهن الأعداء وتقديعهم القرابين له مثل الخواثم وأكياس الذهب وجر الفهد وسن الفيل وبيض النعام . ووجد استخراج الذهب والزهر من وادي الملاقى المروفة قديما باسم اكيتا akita وعلى هذا الطريق قلعة يظن أنها من أعمال رمسيس الثاني

ودامت سلطة مصر على اتيوبيا حتى الأسرة العشرين بعد ذلك انفصلت اتيوبيا عن مصر ، وذلك أن (سمتومبامور) أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين نفي بعض الكهنة المصريين إلى اتيوبيا فخرجوا عن طاعته واستقلوا تحت إمرة أحد

بذلك رحمت حدود مصر إلى ما كانت عليه قبل الفزو  
 وفي آخر حكم الأمرة الثانية والعشرين هاجم الأثيوبيون  
 مصر وأخذت حدود مصر الجنوبية تتراجع شيئا حتى استولى  
 أثيوبيون في أيام الأمرة الثالثة والعشرين على صعيد مصر .  
 ثم أن يمتحنى ملك أثيوبيا بعد أن استولى على مصر فوجئ  
 بروج البلاد عليه وتفاخما الأعيان لمدة خمسة عشر عاما إلى  
 أن قام أجدم ويدعى ( إسمانيك ) واستعان بجنود يونانية  
 لاستولى على جميع الأراضى المصرية وطرد الأثيوبيين وأعاد  
 لحدود المصرية إلى أسوان . ولقد ذكر ( هيرودوت ) خبر  
 برار بعض الجنود المصرية في عهد إسمانيك مؤسس الأسرة  
 السادسة والعشرين فقال إنهم ذهبوا إلى أثيوبيا واستوطنوا  
 هناك وأطلق عليهم اسم ( الأوثومولى ) وعرفوا بهذا الاسم حتى  
 القرن الأول للميلاد

وفي عهد البطالسة زحف ثامن ملوك هذه الأسرة على مملكة  
 صروى وفتحها ثم سار جنوبا ففتح مدينة أ كسوم ، ودون خبر  
 فتوجه باللة اليونانية على خنجر من الرخام في ميناء ( أدولس )  
 المعروفة الآن بميناء ( زولا ) على عشرين ميلا جنوبى ( مصوع  
 وهى ميناء أ كسوم ) ومع ذلك فقد عادت الحدود مرة أخرى  
 إلى المحرقة في عهد سلفه

وبعد وفاة كليوباترا آل حكم مصر إلى الرومان . وأول من  
 تولى مصر من الرومان هو كرنيليوس جالسن وقد ظهر من  
 بعض النقوش على بعض الآثار أن الملك ( نوبا كوتاس خوانوس ) ،  
 وبتظن أنه ملك نوبه ، أرسل رسلا في أيام هذا الحاكم إلى قبلة  
 ودخل في حامية الرومان . وحاولت أثيوبيا غزو مصر في عهد  
 ملكها ( كنداكة ) حينما كان الرومان مشتغلين بغزو بلاد العرب  
 ولما لم تفلح . وفى عهد ( نيرون ) أرسل حملة للكشف عن  
 منابع النيل فوصلت إلى إنليم كثير المستنقعات وبما كان إقليم  
 السدود الحالي ، وكانت المحرقة آخر حدود مصر أيام الرومان كما  
 كانت أيام اليونان ، فرأى الامبراطور ( ديوقلشيان ) أن خراج  
 البلاد التى بين المحرقة وأسوان لا يفي بنفقات الجند اللازمة لجمعه  
 فلا فائدة من الاحتفاظ بهذه البلاد فاقطعها للنوبة وأعاد الحدود  
 المصرية إلى أسوان وقوى حامية الفنتين

وفي عهد الحكم العربى غزا المسلمون النوبة . قال ابن الأثير

فغزا المسلمون النوبة فرجموا بالجراحات وذهاب الحدق لجودة  
 رجمهم فسموهم رماة الحدق ) وفى سنة ٢١ هـ بمث عمرو بن  
 العاص عبد الله بن سعد بن أبى سرح فى عشرين ألفا إلى النوبة  
 فمكث بها مدة ثم صالحهم وقرر عليهم الجزية ثم ، استدعاه عمرو  
 إلى مصر ثانية ؛ وبعد موت عمر بن الخطاب رضى الله عنه تولى  
 عثمان بن عفان فمزل عمرو بن العاص وولى عبد الله مكانه ، وكان  
 أهل النوبة نقضوا الصلح ووصلوا إلى الصميد فرددهم وغزاهم مرة  
 ثانية وصالحهم على أن يدفعوا ٣٦٠ رأسا من الرقيق سنويا على  
 أن يرسل عبد الله إليهم بمض الجبوب . ويقول المسعودى  
 ( ولمن بأسوان من المسلمين ضياع كثيرة داخله بأرض النوبة  
 يؤدون خراجها إلى ملك النوبة وابتيعت هذه الضياع من النوبة  
 فى صدد الأمان فى دولة بنى أمية وبنى العباس ، وقد كان ملك النوبة  
 استمدى المأمون حين دخل مصر على هؤلاء اتقوم بوقف  
 أوفدهم إلى الفسطاط ذكروا عنه أن ناسا من أهل مملكته  
 وعبيده باعوا ضياعا من ضياعهم ممن جاورهم من أهل أسوان  
 وأنها ضياعه والقوم عبيد لا أملاك لهم وإنما تملكهم على هذه  
 الضياع تملك العبيد الماملين فيها . فرد المأمون أمرهم إلى الحاكم  
 بمدينة أسوان ومن بها من أهل العلم والشيوخ

وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل أسوان أنها منتزع من  
 أيديهم ، فاحتالوا على ملك النوبة بأن تقدموا إلى من ابتيعت  
 منهم من أهل النوبة أسهم إذا حضروا حضرة الحاكم لا يقرؤا  
 للوكلهم بالعبودية ، وأن يقولوا سيبلنا معاشر المسلمين سيبابكم  
 مع ملككم ، يجب علينا طاعته وترك مخالفته ، قلت  
 كنتم أنتم عبيدا لملككم وأموالكم له فنحن كذلك . ولما جمع  
 الحاكم بينهم وبين صاحب الملك أتوا بهذا الكلام للحاكم ونحوه  
 مما وقفوا عليه من هذا المعنى ، قضى البيع لعدم اقرارهم  
 بالرق لملكهم إلى هذا الوقت ، وتوارث الناس تلك الضياع  
 بأرض النوبة من بلاد مريس المجاورة لأسوان . وصار النوبة  
 أهل مملكة هذا الملك نوعين : نوعا من وصفنا أحرارا غير عبيد ،  
 والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد وهم من سكن النوبة فى غير  
 بلاد مريس ) . من ذلك يتبين أن الحدود الجنوبية لمصر لم تكن محددة  
 تماما أيام العرب ، إذ أن بعض المصريين كان يملك أراضى داخل  
 حدود النوبة . ويقول المقرئى لأنه فى سنة ٨٧٠ م ذهب

وبقوا كذلك شبيماً على كل شبيمة منهم رئيس أو ملك الى  
قام الفنج في سناد سنة ١٥٠٥ الى الشلال الثالث ثم ك  
الفتح العثماني لمصر بيد السلطان سليم سنة ١٥٢٠ فأرسل جيد  
الى النوبة فملكوها من أسوان الى الشلال الثالث وعرة  
(بالنز) وعرف حكامهم (بالكشاف) وهكذا انقسمت به  
النوبة بين ملوك الفنج والكشاف الى أن كان الفتح المصر  
للسودان سنة ١٨٢٠ م أي سنة ١٢٣٦ هـ فخضعت لمصر

وفي عهد محمد علي امتدت حدود مصر جنوباً بمد فتح  
للسودان وكانت تدخل أسوان في مديرية اسنا ، ثم أحدر  
تعديلاً بأن ضم مديرية اسنا الى مديرية قنا وصارتا واحدة ، أ  
انفصلتا بمد ذلك وامتدت الحدود المصرية الى أعالي النيل أ  
خلف محمد علي خصوصاً في عهد اسماعيل . واستمرت مديرية اس  
حتى سنة ١٨٨٧ وكان مركزها اسنا . ولما ازدادت الثورة المهدي  
في السودان وكادت تمتد الى الحدود رأيت الحكومة تخصيص  
الحدود المصرية بقوة عسكرية وجعلت البلاد هناك تحت الأحكام  
العسكرية فصدر قرار مجلس الوزراء في ٢٦ أبريل سنة ١٨٨٨  
بقسم مديرية اسنا الى قسمين : الأول يشمل الجهات التي بين  
وادي حلفا وجبل السلسلة تتكون منه مديرية تسمى مديرية  
الحدود ومركزها اسوان . وأما الأقاليم شمالي جبل السلسلة فتعزم  
الى مديرية قنا وعلى ذلك ألفت مديرية اسنا وتكونت مديرياً  
الحدود من مراكز ادفو وأسوان وكرككو ( الآن الدر  
وحلفا ) وضمت بقية البلاد الى قنا واستمرت مديرية اسوان  
باسم مديرية الحدود الى أوائل سنة ١٨٩٩ حينما تمحدرت الحدود  
بين مصر والسودان ، وذلك أنه لما أعيد اخضاع السودان  
عمر اتفاق بين مصر وبريطانيا في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ بأن  
يصبح السودان حكومة مصرية انجليزية وأصبح خط عرض  
٢٢ شمالاً هو الحد الفاصل بين مصر والسودان وبناء على ذلك  
دخلت عشرة بلاد من قرى مصر العليا في حكومة السودان  
وهي : سرة شرق . فرس . جزيرة فرس . ديرة . شرة عزب .  
اشكيت . ارقين . أدغيم . عنقش . دبروسة ( وتعرف الآن  
بالتوفيقية ) وبمد هذا التغيير أطلق على مديرية الحدود اسم مديرية  
أسوان ابتداء من سنة ١٨٩٩ م رشاد أحمد صارق

أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد العمري الى محاربة النوبة  
ورجع غانماً . ويفهم من كلام المتريزي أنه في سنة ٩٥٦ م أغار  
ملك النوبة على أسوان وقتل جمماً من المسلمين فخرج اليه محمد بن  
عبد الله الخازن على عسكر مصر من قبل ( أنوجور بن الأخشيد )  
سنة ٩٥٧ م برا وبحرا وأسروا بعض النوبيين الذين ضربت  
أعناقهم بمد ما أوقع بملك النوبة ، وسار الخازن حتى فتح مدينة  
أبريم ، وقدم الى مصر سنة ٣٤٥ هـ بمائة وخمسين أسيراً . وقال  
ابن الأثير ( في سنة ١١٧٣ م سار شمس الدولة توران شاه بن  
أيوب أخو صلاح الدين الأكبر من مصر الى النوبة فوصل  
الى أول بلدهم . وكان سبب ذلك أن صلاح الدين وأهله كانوا  
يملكون ان نور الدين كان على عزم الدخول الى مصر ، فاستقر الرأي  
بينهم أنهم يملكون إما بلاد النوبة أو بلاد اليمن حتى إذا وصل  
اليهم نور الدين لقوه وصدوه عن البلاد ، فان قوا على منعه  
أقاموا بمصر وإن عجزوا عن منعه ركبوا البحر ولحقوا بالبلاد التي  
قد افتتحوها . فجهز شمس الدين وسار الى أسوان ومنها الى بلاد  
النوبة ، فنازل قلعة اسمها أبريم فسلمت ، فأقام بها ولم ير للبلاد  
دخلاً يرغب فيه ، فتركها وواد الى مصر بما غنم من العبيد  
والجوارى ) . وقال المتريزي عن توران شاه هذا ما يأتي : ( وأعطاه  
صلاح قوص وأسوان وعينداب ، وجعلها له اقطاعاً ، فكانت هيرتها  
في تلك السنة مائتي ألف وستة وستين ألف دينار ، ثم خرج  
لفزو النوبة سنة ١١٧٤ وفتح قلعة أبريم ) . واستمر غزو المالك  
لبلاد النوبة مثل الظاهر بيبرس وقلارون وغيرهم . ويقول ابن  
خلدون إن قلارون عند ما غزا النوبة أرسل السفن بالبحر .  
ويقول ابن خلدون ( ثم انتشر أحياء العرب من جهينة في بلاد  
النوبة واستوطنوها وملكوها أيام الناصر بن قلارون وماؤوها  
عيثا وفسادا ، وذهب ملوك النوبة الى مدافعتهم فهجزوا ، ثم  
صاروا الى مصانعتهم بالصهر فافترق ملكهم وصار لبعض أبناء  
جهينة من أسناتهم ، لأن أسناتهم من بنات ملوك النوبة على عادة  
الأعاجم في تملك الأخت وابن الأخت فتمزق ملكهم واستولى  
أعراب جهينة على بلادهم ، وليس في طريقة استيلائهم شيء من  
السياسة اللوكية للأمة التي تمنع من انقياد بعضهم الى بعض  
فصاروا شبيماً لهذا العهد ) . الى أواخر القرن الثامن الهجري .